سيموطيقيا الشكل والدلالة

اعداد

الدكتورة اناهيد ناجي فيصل
و
د. سجاد شعبان حسن

اشراف

أ.د صدام فهد الاسدي

٢٠١٦

السيمولوجيا والسيموطيقيا والسيميائية تسميات حديثة لعلم جديد او منهج من مناهج ما بعد البنيوية ، والسيمولوجيا ترجع الى مدرسة جنيف التي ترأسها (دي سوير) والسيموطيقيا ترجع الى المتحدثين باللغة الامريكية ويتبعون (شارل بيرس) الامريكي اما النقاد والباحثون العرب فمنهم من يؤثر السيمولوجيا ومنهم من يؤثر السيموطيقيا ولهم مبرراتهم في ذلك ومنهم من يبحث في التراث العربي ذاته ويؤثرون (السيمياء) ويشتق منها (السيميائية) ، وقد بشر كل من دير سوير وشارل بيرس بالسيمولوجيا او السيموطيقيا كل بطريقته حيث درس دي سوير العلاقة اللغوية و وضح خواصها الاساسية ورأى انها تتدرج في منظومة اكبر هي العلاقات بصفة عامة فكانت اشارات

سوير الى المحاور الاستبدالية والتركيبية والعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول اما بيرس فهو يؤسس للسموطيقيا بتحليله لأنواع العلاقات المختلفة وتمييزه بين مستوياتها المتعددة اذ يحدد الفروق بين الاشارات من حيث :

١- التجاور في المكان مثل السهم الذي يبصره مشيراً الى مكان معين باعتبار تلك الاشارات مجالا لأنواع خاصة من العلاقة تقوم بين الدال والمدلول فيها علاقة التجاوز المكاني

٢- الايقونة تتمثل في الصورة الدالة على متصور مثل صورة العذراء في الطقوس المسيحية او صورة السيارة في اشارات المرور والايقونة تشبه ما تشير اليه والعلاقة بين الدال والمدلول تخيليه فلن تستطيع فهم العلاقة الأيقونية مالم تكن وعيت من قبل نظيرها المشابه لها .

٣- الرمز ونموذجه الاول هو الكلمة اللغوية و الرمز يتميز بان علاقته تجعلنا نصل بين مدلول الكلمة ودليلها الخارجي فالعلاقة في الرمز بين طرفي العلاقة اعتباطية تتم بالصدفة وليست علاقة سببية (مناهج النقد المعاصر ، د.صلاح فضل ، ١١٥-١١٦) والسيمياء لغة : العلاقة مشتقة من الفعل (سام) الذي هو مقلوب (وسم) يدل على ذلك قولهم : سمة ، فأن اصلها : وسمة ويقولون سيمى بالقصير وسيماء بالحد وسيمياء بزيادة الياء والمد ، وقيل هي العلاقة (لسان العرب ابن منظور مادة سوم) وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى : (تعرفهم بسيماهم ولا يسئلون الناس الحافا) (البقرة ٢٧٣) وقوله تعالى (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) (سورة الفتح٢٩) والسيمياء

اصطلاحاً نظام السمة او الشبكة من العلاقات التنظيمية المتسلسلة وفق قواعد لغوية متفق عليها في بيئة معينة ، وهي ايضاً عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البينات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا ، ودراسة شكلانية للمضمون تمريره الشكل لمساءلة الدوال من اجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى ، ومن المصطلحات السيمولوجيا الهامة :

١- مصطلح العلاقة : والعلاقة عند (دي سوير) تتكون من (دال) وهو صورة صوتية عن مفهوم ، هو (المدلول) اما عند (بيرس) فان العلاقة هي شيء ما يشير الى شيء اخر سواه عند شخص ما في ناحية او صفة معينة والعلاقة بينهما هي علاقة الاحالة او المرجعية ، وفي نظرة (بيرس) لكل علاقة موضوع تشير اليه غير انه لا يشترط ان يكون لهذا الموضوع وجود طبيعي

٢- مصطلح التبادل : وهو ما نوه اليه سوير ففي اللغة ترتبط الكلمة تبادلياً مع المترادفات والمتضادات والكلمات الاخرى من الجذر نفسه و الكلمات التي تشبهها صوتيا وغير ذلك ، وتقدم هذه البدنية المتبادلية الميدان الممكن للأستبدالات التي تنتج عنها الاستعارات والتوريات والكنايات والمجازات الاخرى وتؤدي فكرة التبادل الى عملية توليدية سيميائية غير محددة .

٣- مصطلح التركيب : وهو ذلك الجزء من السيمياء عند (بيرس) الذي يهتم بالقوانين التي تخفي الكلمات بعضها ببعض في داخل فعل كلامي او قول معين .

٤- مصطلح الشفرة Code : يرى السيميائيون ان الفهم بأجمعة يعتمد على الشفرات فحينما نستخلص معنى من حدث ما فذلك لأننا نمتلك نظاما فكريا او شفرة تمكننا من القيام بذلك فالبرق كان يفهم ذات يوم على انه علامة يصدرها كائن متسلط يعيش في الجبال او في السماء اما الان فنفهمه على انه ظاهرة كهربائية لقد حلت شفرة علمية محل شفرة اسطورية .

وقد تبلور علم السيمياء بصورة جلية و واضحه على يد علماء الاصول والتغيير والمنطق واللغة والبلاغة وكان الباحث والموجه للدرس السيميائي هو القرآن الكريم اذ منذ نزوله كان هناك التأمل في العلاقة بغية اكتشاف بنيتها الدلالية ، فقد ارشد القرآن في مواضع عدة الى تدبرها من ذلك قوله تعالى في سورة الرعد (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) والدعوة الى النظر في عالم الوجود بكل عجائبه وغرائبه واسراره الغائرة في ملكوت السموات والارضين فعند الوقوف على سيميائية اللون في القرآن الكريم مثلا واثرها على المفاهيم والسلوكيات للبشر والاهداف القرآنية الكامنة وراء استعادة القرآن من النماذج اللونية ومن خلفيات الالوان في ابراز صوره القرآنية فمثلاً نجده يستعمل لونا في موضع دون اخر مما يعطي انطباعا عن نوع اقتران بين اللون المستفاد الباحثين في تحديد هويات ومقاصد الالوان ، فقد يأتي ذكر اللون في تحديد ماهية اللون كقوله تعالى في سورة البقرة (٦٩) (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) او قد يرد اللون في مواضع اخرى مقترن بكلمة الاختلاف كقوله تعالى في سورة الروم (٢٢) ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم) دالاً على القدرة المطلقة لله عز وجل او قد يرد اللون كدال

لغوي ورمزي لشد ذهن الانسان الى التفكير والتدبر كقوله تعالى (الم تر ان الله انزل من السماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفاً الوانه ثم يهيج فتراه مصفراً) الزمر ٢١ وقد تناول النص القرآني الالوان واختلافها واختلاف مدلولاتها وسياقاتها سيما اللون الاخضر الذي حظي بالاهتمام الكبير اكثر من أي لون اخر فقد اتت كلمة (الاخضر) مرة واحدة ليدلل على الشيء الحي كقوله تعالى (الذي جعل لكم في الشجر الاخضر ناراً) يس ٨٠ وليدل على قدرته في اخراج المحروق اليابس من العود ، واتت كلمة (خضرٌ) منونة بالكسرة في ثلاث مواضع في سورة يوسف كقوله تعالى (يأكلهن سبعٌ عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) وقوله تعالى (يأكلهن سبع عجاف وسبع خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعملون) فتدل خضر على لون السنبلات وهو ما يعطي الاستقرار في الحياة حال توافرها ويحمل ايضاً دلالة الخصوبة وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) و (زخرف خضر) وصف للأرائك والاراجيح باللون الاخضر لما يحمل من معاني الاستقرار على الرغم من حركة هذه الارائك ليعلمنا مدى لذة هذا التأرجح وقد تأتي منونة بالضمة لوصف ما جاء في الجنة ، كقوله تعالى (عليهم ثيابٌ سندس واستبرق) الانسان ٢١ فوصف لباس (اهل جنته بالخضر ، كما اتت كلمة خضراً منونة بالفتحة كما في قوله تعالى (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق) سورة الكهف (٣١) وفيه وصف لزينة ثياب اهل الجنة الحريرية وقد اتت كلمة (خضراً) في موضع واحد فقط يمعنى الزرع كقوله تعالى (فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً) سورة الانعام (٩٩) فالخضر رطب البقول من قمح وشعير وذرة وسائر الحبوب وقد وردت كلمة (فتصبح

الارض مخضرة) وجاء بلفظ (مدهامتان) وهو مرادف للون الاخضر الغامق للتعبير عن الجنان ، يقول الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن أي دلالة هذا اللفظ مسودتان من شدة خضرتهما ومن هنا نرى بان الوصول الى جوهر المعنى لسيما في القرآن الكريم لا يتم الاستدلال بالكلمات الا عبر القول الموجز والاشارة الدالة تبدو قيمة الصفة اللونية في خلق دلالات متشعبة واثرها في تحريك الذوق الجمالي المتماشي مع رؤية كل اقتصاص وميوله والاستخدام السائد ايضاً فمثلاً قد يستخدم اللون الاخضر ليشير الى معنى (السمرة) في الوان الناس او (الغبرة) في الوان الابل والخيل وتطلق العرب على السماء : الخضراء وقد جاء في تعابير العرب على الاخضر الدال على السواد قولهم اباد الله خضراءهم أي سوادهم وحفظهم ويقال ارض السواد أي ارض الخضرة ليدل على التداخل الطبيعي بين الالوان والتطور الذي لحق هذه الالوان فيما بعد في مجال المزج والتخصص بعد التعميم .